المقدمة

الحمد الله الذي منَّ علينا بنعمة الإسلام، وهدانا بهداه إلى نعمة الإيمان، وأنعم علينا بالعقل وأرسل إلينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم معلماً ومربياً ومرشداً، بأن العلم نور يعطيه الله لمن يشاء من عباده، والتعليم فن لا يجيده إلاَّ المربي المسلم المحب له، المهتدي بهدي معلمنا محمد صلى الله عليه وسلم، والطامع في الأجر والثواب من الله عز وجل، والطامح إلى جيل قوي متعلم متمسك بالإسلام مطبق له متخلق بأخلاقه، **قال الله تعالى:** ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الحج: (٥٤)

وقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ". (البخاري كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، ١٠)؛ وقد اهتم المربون الأوائل بالعلم والتعليم، وكتبوا الكثير من المؤلفات والكتب القيّمة التي توضح ماهيته وأركانه وشروطه ومبادئه، وقد أثبتوا أنهم قادرون على عملِ وتطبيقِ منهج تربوي متكامل من جميع الجوانب، مهتم بكل ما يربي الفرد المسلم وجدانياً، وعقلياً، ومعرفياً، وجمالياً، وجسمياً، وعملياً وتقويم سلوكه وأخلاقه على نهج الشريعة الإسلامية وعلى خطى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، مما يكفل له السعادة والرضى والراحة في الدنيا، والنعيم والأجر والمثوبة من الله في جنات عدن في الآخرة، ونجد إن هذه القواعد المهمة التي وضعها السابقون هي ما يعرف الآن بالمناهج الحديثة أو الأساليب الحديثة للتربية.

وممن اهتم بذلك من العلماء والمربون الأوائل علَمٌ من أعلام المسلمين، وهو العالم الجليل، إمام عصره في الحديث والأثر في بلاد الأندلس العالم ابن عبد البر القرطبي الذي ألف كثيرًا من المؤلفات، الزاخرة بكنوز العلم والمعرفة في علوم وموضوعات شتى، ومن هذه الكتب القيمة التي بها الكثير من الآراء التربوية المستمدة من سنة النبي صلى الله عليه وسلم كتاب "جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله"، والذي

تتبع فيه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والروايات وأقوال العلماء في العلم والتعليم، موضحًا المنهج النبوي والتربوي في العلم والتعلم ومدى أهميته في الشريعة الإسلامية، ومشيرًا إلى أهم التطبيقات التربوية التي يستطيع أن يستفيد منها المربون في ميدان التربية والتعليم لاسيما في الوقت الراهن الذي أصبح العلم والتعلم فيه من ضرورات العصر الحديث وما يصاحبه من انفجار معرفي وتكنولوجي كبير، عصر متسارع الخطى في النمو والعلم والتحضر في مختلف المجالات وعلى كافة الأصعدة، ونجد أيضًا إشارة العالم ابن عبد البر القرطبي إلى أهم نظرية من النظريات الحديثة في التربية وهي النظرية الشرطية، لذلك سيتناول البحث بالدراسة الآراء التربوية في كتاب العالم ابن عبد البر القرطبي المعنون: "جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله" بتقديم الأستاذ/ عبد الكريم الخطيب، مبيّناً الأبواب والفصول مع ذكر بعض الروايات والأقوال والأمثلة والتطبيقات التربوية التي أشار إليها والتي ينبغي لكل مربي معرفتها.

موضوع البحث :

تتناول الباحثة بالدراسة أهم الآراء التربوية في كتاب العالم ابن عبد البر القرطبي المعنون: "جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله"، مشيرة إلى أهم التطبيقات التي أشار إليها، مبينًا لأهم نظرية أشار إليها وتحدث عنها وهي النظرية الشرطية والتي أصبحت من أهم النظريات الحديثة في التربية.

أسئلة البحث:

يتبلور البحث حول الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما الآراء التربوية للإمام القرطبي في كتابه (جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله)؟ وما تطبيقاتها؟

وللإجابة على السؤال الرئيس فإنه يتعين الإجابة على الأسئلة الفرعية الآتية:

١- ما أبرز الآراء التربوية للأمام القرطبي في كتابه (جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله)؟

٢- ما النظرية التربوية المستخلصة من كتاب (جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله)؟

٣- ما التطبيقات التربوية التي أشار إليها الإمام القرطبي ؟

٤- كيف يمكن الاستفادة من هذه التطبيقات في ميدان التربية والتعليم في الواقع المعاصر؟

أهداف البحث :

تتحدد أهداف البحث على النحو الآتي:

١- التعرف على الفكر التربوي عند الإمام ابن عبد البر القرطبي من خلال كتابه (جامع بيان العلم وفضله).

٢- إبراز النظرية التربوية المستخلصة من كتاب (جامع بيان العلم وفضله).

٣- رصد التطبيقات التربوية التي أشار إليها الإمام ابن عبد البر القرطبي.

٤- إيضاح كيفية الاستفادة من التطبيقات التربوية التي أشار إليها الإمام ابن عبد البر القرطبي في ميدان التربية والتعليم في الواقع المعاصر.

أهمية البحث :

تتضح أهمية البحث فيما يلي:

١- إبراز النظرية التربوية التي توصل لها الإمام ابن عبد البر.

٢- الكشف عن أهم التطبيقات التربوية التي أشار إليها الإمام ابن عبد البر .

٣- تفيد المربين في المؤسسات التربوية المختلفة في طرق التدريس والتقويم .

حدود البحث :

يتحدد البحث من خلال الحدود الموضوعية المتمثلة في نظرية التعلم الشرطية المستخلصة من كتاب "جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله"، مع الإشارة إلى أبرز التطبيقات التربوية المتضمنة للكتاب، واقتراح كيفية تحقيقها في ميدان التربية والتعليم في العصر الحاضر.

منهج البحث :

تستخدم الباحثة المنهج الوصفي، والذي ذكره (العساف) بـ "الجمع المتأني الدقيق للسجلات والوثائق المتوافرة ذات العلاقة بموضوع (مشكلة) الدراسة، ومن ثم التحليل الشامل لمحتويتها، بهدف استنتاج ما يتصل بمشكلة الدراسة من أدلة، وبراهين تبرهن على إجابة أسئلة الدراسة " (العساف،١٤٢١هـ، ص ٢٠٦).

وعرفه جابر: " هو المنهج الذي يعتمد على جمع المعلومات والبيانات والحقائق، ويصف ما هو كائن، ويمكن من تفسيره، كما يهتم بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع، ولا يقتصر على جَمْع البيانات وتَبْوِيبها، وإنما يَمْتَد إلى ما هو أبعد من ذلك؛ لأنه يتضمن قدرًا من التفسير والمُقارَنة" (جابر وآخرون،١٩٩٦م، ص١٣٤) .

وسيكون استخدام المنهج الوصفي في البحث من خلال الجمع المتأني الدقيق للمعلومات والبيانات والحقائق التي تتناول نظرية التعلم الشرطي التي أشار إليها العالم ابن عبد البر القرطبي ومن ثم تحليل مفهومها ومحتواها وأهدافها وخصائصها وكيفية تفعيلها بهدف التوصل إلى الإجابة على أسئلة البحث.

مصطلحات البحث :

- الآراء :

لغة: مفردها الرأي، والرأي: العقل ورجل ذو رأي، أي : بصيرة وحذِقٌ بالأمور. (الفيومي، ١٩٧٨،ص٩٤)

والرأي: الاعتقاد والتدبير والنظر والتأمل. (أنيس،هـ ١٣٩٢،ص٣٢٠)

التعريف الإجرائي: ترى الباحثة أن الآراء: ما يعتقده الشخص أنه صواب بعد طول تأمل وتفكر.

- التربوية :

لغة : من الفعل (ربا) الشئ زاد وبابه عدا. (الرازي،١٤٠٧،ص٢٣١)، وربا الشئ ربا أي نما وزاد. (أنيس،١٣٩٢،ص ٣٢٦)

والتربية: تهذيب النفس والسلوك وضبطهما والتحكم فيها بهدف البعد عن الرذيلة والتقرب من الفضيلة التي تؤدي إلى التقرب إلى الله (الغزالي، ١٤١١هـ،ج١،ص١٢).

وهي أيضًا: عملية تنمية الشخصية الإنسانية في شتى جوانبها الجسمية والعقلية والنفسية إستنادا إلى الأهداف المستمدة من مصادر الفكر الاجتماعي المقدرة لدى المجتمع، وهذه العملية تتم خلال مؤسسات التربية القائمة بغرض تحقيق التكيف والمشاركة الفاعلة لشخصيات الإفراد في تنمية وتقدم مجتمعهم (زيادة، ١٤٢٥هـ، ص٣٩).

التعريف الإجرائي : الإبداع العقلي للمفكر حيث يتضمن أفكاراً تربوية في مجالات الحياة الاقتصادية والتعليمية والدينية والسياسية بقصد نشرها بين الناس.

- **التطبيقات التربوية:** هي ما يمكن من خلاله تنمية الجانب الوجداني في نفوس الطلاب ومخاطبة وجدانهم وعواطفهم بالأساليب التربوية الإسلامية .

الدراسات السابقة :

تعرض الباحثة فيما يأتي الدراسات ذات الصلة بموضوع بحثها والتي أمكن التوصل إليها:

١- الدراسة الأولى :جزءٌ يسير ضمن كتابٍ ألفه الدكتور: عبدالبديع الخولي، تحت عنوان "الفكر التربوي في بلاد الأندلس"، تحدَّث فيه الكاتب عن الفكر التربوي بصفة عامَّة، وكان من ضمن من تحدث عنهم في هذا المجال ابن عبد البر.

٢- الدراسة الثانية رسالة علي بن سليمان الربيع، بعنوان " ابن عبد البر وآراؤه التربوية "رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية،١٤٠٧هـ،١٤٠٨هـ .

٣- الدراسة الثالثة رسالة حسن يحي عسيري، بعنوان " الفكر التربوي عند ابن عبد البر وابن جماعة رحمهما الله".

أمَّا الدراسات التي كُتِبت عن هذا العالم – ولها علاقة بجوانب أخرى غير المجال التربوي – فهي كما يأتي:

أ- دراسة بعنوان: "الحافظ ابن عبد البر النمري (محدِّثًا)" رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الملك عبد العزيز فرع مكة المكرمة سابقًا، أم القرى حاليًّا – كلية الشريعة – فرع الكتاب والسنَّة عام ١٣٩٧هـ، قام بها الباحث: الطاهر بن الصادق الأنصاري، وتشتمل على بابين وخاتمة كما يأتي:

ذكر في المقدمة سبب اختياره لموضوع الدراسة، وأنَّه إظهار الحق فيما يتعلَّق بالأندلس وأهلها إبَّان الحكم الإسلامي في الأندلس، والذي ما زالت آثارُه قائمة حتى الآن.

وفي النتائج قال: إنَّ الأندلسيين تقدَّموا تقدُّمًا مشرفًا في علوم الحديث، ومن بين هؤلاء: العالِم بَقِيُّ بن مَخْلد، وابن عبد البر، وابن حزم... وغيرهم.

وهذه الدراسة تفيدُ في بعض الجوانب، ومنها: الجانب السياسي والثقافي والاجتماعي.

ب- دراسة بعنوان: "الكافي في فقه أهل المدينة"؛ تحقيق كتاب الكافي في فقه أهل المدينة، ومؤلفه ابن عبد البر النمري (رسالة دكتوراه) في الفقه الإسلامي، مقدمة إلى جامعة الأزهر بمصر، كلية الشريعة عام ١٣٩٦هـ، قام بها الباحث/ محمد بن محمد بن أحيد وادماديك الموريتاني.

وهذه الدراسة خاصَّة بالفقه الإسلامي، وقد قسَّمَها إلى أبواب وفصول، وتقعُ الدراسة في جزأين.

وكان رجوعي إلى تلك الدراسة فيما له علاقةٌ بالمجال التربوي للاستشهاد ببعض الأدلَّة، وذلك عند حديثي عن مفهوم القدوة، وتأثيرها على النشء؛ حيث تحدث عن الآداب الإسلامية.

وهذه الدراسات السابقة لم تتناولِ الجانب التربوي عند ابن عبد البر، وهذا ما سوف تعمل الباحثة على إضافة ما لم يُدرَس من آراء ابن عبد البر، وهي الآراء التربوية.

ستتناول الباحثة موضوع البحث الآراء التربوية للإمام القرطبي من كتاب "جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله" وتطبيقاتها من حيث المحاورُ الآتية، المحور الثاني ترجمة المؤلف وتشمل: اسمه، ولادته ونشأته، العلماء الذين سمع عنهم الحديث، العلماء الذين حدثوا عنه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، إجازته من أهل العلم، ماذا قال العلماء عنه، ظاهريته في البداية، علاقته بابن حزم، وفاته، مصنفاته، المحور الثالث كتاب "جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله" وتطبيقاتها، أولاً: وصف الكتاب، ثانياً: خطبة الكتاب، ثالثاً: : أهم الآراء التربوية التي أشار إليها ابن عبد البر، رابعاً: نظرية التعلم الشرطي عند ابن عبد البر، خامساً: أهم التطبيقات التربوية التي أشار إليها ابن عبد البر، ثم خلاصة البحث والخاتمة والنتائج والتوصيات .

المبحث الثاني:ترجمة المؤلف

وتتناول فيه الباحثة العناصر التالية:

ترجمة المؤلف:

أولا: اسمه

ثانياً: ولادته ونشأته

ثالثاً: العلماء الذين سمع عنهم الحديث

رابعاً: العلماء الذين حدثوا عنه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم

خامساً: إجازته من أهل العلم

سادساً: ماذا قال العلماء عنه

سابعا: ظاهريته في البداية

ثامناً:علاقته بابن حزم

تاسعاً: وفاته

عاشراً: مصنفاته

وفيما يلي تعرض الباحثة العناصر السابقة بالتفصيل، وذلك على النحو التالي:

أولاً: اسمه:

أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النَمَرِيّ الأندلسي، القرطبي المالكي، المعروف بابن عبد البر القرطبي "٣٦٨هـ -٤٦٣هـ"، الإمام الفقيه المجتهد الحافظ، محدث عصره، كان قاضيًا ومؤرخًا، صاحبُ التصانيف المهمة، من أشهر أصحابه الإمام علي بن حزم الأندلسي، وكان إماماً، ثقةً، متقناً، علامةً، متبحراً، وكان في أصول الديانة على مذهب أهل السنة والجماعة، وكان في بدايته ظاهريًا، ثم تحول مالكيًا مع ميل واضح إلى فقه الشافعي في مسائل. (الذهبي، الطبقة ٢٤،ص١٥٣)

ثانياً: ولادته ونشأته :

ولد بقرطبة عام ٣٦٨هـ . في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر، لأسرة من بني النمر بن قاسط، وكان أبوه عبدالله فقيهًا، ومن أهل العلم في قرطبة، فنشأ ابن عبد البر بها، وتعلّم الفقه والحديث واللغة والتاريخ، وارتحل إلى بطليوس أيام سقوط الدولة الأموية بالأندلس، وعاش في كنف أمراء بني الأفطس بها، وولي قضاء أشبونة وشنترين في مدة المظفر بن الأفطس، أحد أمراء بني الأفطس ثم تحوّل إلى شرق الأندلس، فنزل ببلنسية ودانية، وطلب العلم بعد التسعين وثلاث مئة، وأدرك الكبار، وطال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنف، ووثق وضعف، وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء الزمان وقد فاته السماع من أبيه الإمام أبي محمد فإنه مات قديمًا في سنة ثمانين وثلاث مائة فكان فقيها عابدًا متهجدًا، وعاش أبوه خمسين سنة، وكان قد تفقه على يد ابن ليون التجيبي، وسمع من أحمد بن مطرف، وأبي عمر بن حزم المؤرخ. (الذهبي،الطبقة ٢٤، ص١٥٥)

ثالثاَ:العلماء الذين سمع عنهم الحديث:

لقد سمع الحديث وقرأ، على يد كثير من العلماء والمشايخ نذكر منهم :

- ❖ عبد الله محمد بن عبد المؤمن — أبو الوليد بن الفرضي
- ❖ أحمد بن محمد بن الجسور — المعمَّر محمد بن ضيفون
- ❖ أحمد بن عبد الله الباجي — عمر بن حسين بن نابل
- ❖ أحمد بن فتح بن الرسان — أبو عمر الطلمنكي
- ❖ على عبد الوارث بن سفيان — عبد الله بن محمد الجهني
- ❖ عبد الرحمن مروان القنازعي — عبد الرحمن الوهراني
- ❖ محمد بن خليفة الإمام — أحمد بن القاسم التاهرتي

- ❖ محمد بن رشيق المكتب
- ❖ سعيد بن نصر
- ❖ أحمد بن عبد الملك المكوي
- ❖ يحيى بن وجه الجنة
- ❖ الحسين بن يعقوب البجاني
- ❖ خلف بن القاسم الحافظ

رابعاً: حدث عنه الحديث:

ومن العلماء والمشايخ الذين نقلوا عنه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:

- ❖ علي بن حزم الأندلسي
- ❖ أبو العباس بن دلهاث الدلائي
- ❖ أبو محمد بن أبي قحافة
- ❖ أبو الحسن بن مفوز
- ❖ الحافظ أبو علي الغساني
- ❖ الحافظ أبو عبد الله الحميدى
- ❖ أبو بحر سفيان بن العاص
- ❖ محمد بن فتوح الأنصاري
- ❖ أبو داود سليمان بن أبي القاسم نجاح
- ❖ أبو عمران موسى بن أبي تليد

خامساً: إجازته من أهل العلم :

- ❖ أجاز له من ديار مصر أبو الفتح بن سيبخت صاحب البغوي
- ❖ أجاز له من الحرم أبو الفتح عبيد الله السقطي
- ❖ آخر من روى عنه بالإجازة علي بن عبد الله بن موهب الجذامي

سادساً: قال عنه العلماء :

- **قال عنه الإمام الحميدى صاحب "كتاب المسند"**، والذي لم تشر التراجم إلى سنة ولادته غير أنه ولد بمكة المكرمة ونشأ فيها وتتلمذ على حافظ عصره وإمام زمانه: سفيان بن عيينة، وكان أجل أصحابه حيث حفظ عنه عشرة آلاف حديث، وتوفى بمكة المكرمة في شهر ربيع الأول سنة تسع عشرة ومائتين، هكذا أرخه ابن سعد والبخاري

(الطبقات ٥٠٢/٥، التاريخ الصغير ٣٣٩/٢)، وقيل: سنة عشرين ومائتين. (تهذيب الكمال ١٤/٥١٥، والسير ٦١٨/١٠) .

"أبو عمر القرطبي فقيه حافظ مكثر، عالم بالقراءات وبالخلاف، وبعلوم الحديث والرجال، قديم السماع، يميل في الفقه إلى أقوال الشافعي".

- **الإمام أبو علي الغساني صاحب كتاب "تقييد المهمل** "، والذي ولد في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وتوفي في ليلة الجمعة، ثاني عشر شعبان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة. (الذهبي،الطبقة ٢٦، ص١٤٨).

"لم يكن أحد ببلدنا في الحديث مثل قاسم بن محمد، وأحمد بن خالد الجباب. ثم قال أبو علي : ولم يكن ابن عبد البر بدونهما، ولا متخلفا عنهما، وكان من النمر بن قاسط، طلب وتقدم، ولزم أبا عمر أحمد بن عبد الملك الفقيه، ولزم أبا الوليد بن الفرضي، ودأب في طلب الحديث، وافتن به، وبرع براعة فاق بها من تقدمه من رجال الأندلس، وكان مع تقدمه في علم الأثر وبصره بالفقه والمعاني له بسطة كبيرة في علم الأنساب والأخبار، جلا عن وطنه، فكان في الغرب مدة، ثم تحول إلى شرق الأندلس، فسكن دانية، وبلنسية، وشاطبة وبها توفي، وذكر غير واحد أن أبا عمر ولي قضاء أشبونة مدة"، وقال أيضًا: "ألف أبو عمر في الموطأ كتبًا مفيدة منها: كتاب (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد)، فرتبه على أسماء شيوخ مالك، على حروف المعجم، وهو كتاب لم يتقدمه أحد إلى مثله، وهو سبعون جزءا".

- **أبو القاسم بن بشكوال صاحب كتاب "معرفة العلماء الأفاضل"**، ولد سنة أربع وتسعين وأربعمائة، وتوفي في الثامن شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وخمسمئة وله أربع وثمانون سنة، ودفن بمقبرة قرطبة. (الذهبي،الطبقة ٣٠، ص١٣٩)

قال: "ابن عبد البر إمام عصره، وواحد دهره، يكنى أبا عمر، روى بقرطبة عن خلف بن القاسم، وعبد الوارث بن سفيان، وسعيد بن نصر، وأبي محمد بن عبد المؤمن، وأبي

محمد بن أسد، وجماعة يطول ذكرهم. كتب إليه من المشرق السقطي، والحافظ عبد الغني، وابن سيبخت، وأحمد بن نصر الداودي، وأبو ذر الهروي، وأبو محمد بن النحاس".

- **أبو علي بن سكرة الإمام العلامة الحافظ القاضي،** والذي ولد سنة أربع وخمسين وأربعمائة، واستشهد في ملحمة قتندة في ربيع الأول سنة أربعة عشرة وخمسمئة وهو من أبناء الستين، وخلف كتبًا نفيسة، وأصولاً متقنة تدل على حفظه وبراعته

(الذهبي،الطبقة ٢٧،ص٣٧٦-٣٧٧)

قال : "سمعت أبا الوليد الباجي يقول : لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر ابن عبد البر في الحديث، وهو أحفظ أهل المغرب".

- **علي بن حزم الأندلسي هو أكبر علماء الإسلام تصنيفًا وتأليفًا،** مولده كان في ثلاثون من رمضان عام ثلاثمائة وأربع وثمانون للهجرة في قرطبة، وتوفي في الثامن والعشرون من شعبان عام أربعمئة وست وخمسون للهجرة في ولبة . (القاسمي،١٩٨٥، ص٢٠.)

قال : "لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلاً، فكيف أحسن منه؟ ولصاحبنا أبي عمر ابن عبد البر كتب لا مثيل لها".

سابعاً: ظاهريته في البداية:

قال الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء، مولده في الثالث عشر من شهر ربيع الآخر عام ستمئة وثلاث وسبعون للهجرة، وتوفي ليلة الاثنين الثالث من شهر ذو القعدة لعام سبعمئة وثماني وأربعين للهجرة. (الطناحي،١٤١٣ هـ)

"كان إماما ديّنًا، ثقة، ثبتًا، مُتقنًا، علامة، مُتبحرًا، صاحب سنة واتباع، وكان أولاً أثريًا ظاهريًا فيما قيل، ثم تحوّل مالكيًا مع ميل إلى فقه الشافعي في مسائل، ولا يُنكر له ذلك، فإنه ممن بلغ رتبة الأئمة المُجتهدين".

- **وقال شيخ الذهبي أبو عبد الله بن أبى الفتح:**

"كان أبو عمر أعلم من بالأندلس في السنن والآثار ... وكان في أول زمانه ظاهري المذهب مدة طويلة ثم رجع إلى القول بالقياس من غير تقليد أحد" .

- **وقال جلال الدين السيوطي** مولده يوم الأحد غرة شهر رجب عام ثمانمئة وتسع وأربعين للهجرة، وتوفي في التاسع عشر من جمادى الأولى عام تسعمئة واحد عشر. (أبو الفضل، ١٣٨٧ هـ):

"وكان أولا ظاهريًا ثم صار مالكيًا".

ثامناً: علاقته بابن حزم الأندلسي:

المولود في الثلاثين من رمضان عام أربع وثمانون وثلاثمئة للهجرة، والمتوفى في الثامن والعشرين من شعبان من عام ست وخمسين وأربعمئة للهجرة في مدينة ولبه.

- قال الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء:

"إن أبا عمر بن عبد البر كان صديقاً لعلي بن حزم الأندلسي، وكان ينبسط إليه ويؤانسه، وأنه عنه أخذ ابن حزم فن الحديث".

- وقال إسماعيل بن عمر بن كثير في كتابه البداية والنهاية، والذي ولد في قرية مجدل بسوريا عام سبعمئة للهجرة، وتوفي يوم الخميس في السادس والعشرون من شهر شعبان عام سبعمئة وأربع وسبعين للهجرة. (ترجمة في كتاب البداية و النهاية لدار ابن الجوزي ومصدر الترجمة هو: ترجمة في تذكرة الحفاظ ١٥٠٨/٤)

"وكان– أي علي بن حزم الأندلسي - مصاحباً للشيخ أبي عمر ابن عبد البر النمري، وكان مناوئاً للشيخ أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي.

- "وكان علي بن حزم الأندلسي يصفه بالصاحب، وروى ذلك كثيراً في كتبه كالإحكام في أصول الأحكام، والمحلى، والفصل في الملل والأهواء والنحل".

فيقول : "كتاب صاحبنا أبي عمر".

- "ثم إن علي بن حزم الأندلسي يذكر ابن عبد البر في كتبه، ويضفي عليه صفة الإمامة والاجتهاد، وحسبك بأبي محمد مثنياً، يقول في كتابه جوامع السيرة، وممن أدركنا ممن جرى على سنن من تقدم ممن ذكرنا : مسعود بن سليمان بن مفلت أبو الخيار، ويوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، فهؤلاء أهل الاجتهاد من أهل العناية.. ".

- وأشاد بكتاب التمهيد لصاحبنا أبي عمر يوسف ابن عبد البر، وهو كتاب لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلاً، فكيف أحسن منه؟ ولصاحبنا أبي عمر ابن عبد البر المذكور كتب لا مثيل لها رسالة فضل الأندلس به وبمصنفاته .

- ولقد توصل المستشرق الإسباني اسين بلاسيوس وكان راهبًا من الرهبان انشغل بعلم ابن حزم وكتبه طرح في كتابه عن ابن حزم أن ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم يبدو متأثرا بنهج ابن حزم وفكره.

- كما أن ابن عبد البر من فرط حبه في ابن حزم، كان يطالع كل جديد يكتبه ابن حزم، فلما كتب ابن حزم رسالته في الغناء الملهى أمباح هو أم محظور؟ حُملت الرسالة إلى ابن عبد البر، فمكثت عنده شهرا، فنظرها.

- ويذكر المقري في كتابه النفح قصة طريفة اتفقت لابن عبد البر مع علي بن حزم الأندلسي، تدل على تغلغل الظاهرية في روح علي بن حزم الأندلسي وفكره وشعوره، كما تدل على نوع الصداقة التي كانت تجمعهما، قال: "مر ابن حزم يوماً هو وأبو عمر بن عبد البر صاحب الاستيعاب بسكة الحطَّابين من مدينة إشبيلية، فلقيهما شاب حسن الوجه، فقال أبو محمد ابن حزم : هذه صورة حسنة، فقال له أبو عمر ابن عبد البر : لم تر إلا الوجه، فلعل ما سترته الثياب ليس كذلك . فقال ابن حزم ارتجالاً:

"وذي عذل فيمن سباني حسنه	****	يُطيل ملامي في الهوى ويقولُ
أمن أجل وجه لاح لم تر غيره	****	ولم تدر كيف الجسم أنت عليلُ
فقلت له أسرفت في اللوم فاتئد	****	فعندي رد لو أشاء طويلُ
ألم تر أني ظاهري وأنني	****	على ما أرى حتى يقوم دليل"

تاسعاً: وفاته:

قال أبو داود المقرئ :"مات أبو عمر ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر، سنة ثلاث وستين وأربع مئة، واستكمل خمسًا وتسعين سنة وخمسة أيام".

عاشراً: مصنفاته:

الأجوبة الموعبة في الأسئلة المستغربة

الاستيعاب في معرفة الأصحاب

الإشراف على ما في أصول فرائض المواريث من الإجماع والاختلاف

الاتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء

أخبار أئمة الأمصار

اختلاف أصحاب مالك بن أنس، واختلاف رواياتهم عنه

تجريد التمهيد في الموطأ من المعاني والأسانيد

الإشراف على ما في أصول فرائض المواريث من الإجماع والاختلاف

تجريد التمهيد في الموطأ من المعاني والأسانيد

الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار

الاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو بن العلاء بتوجيه ما اختلف فيه

الإنباه على قبائل الرواة

الاتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء

بهجة المَجالس وأنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس

التقصي لما في الموطأ من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم

جمهرة الأنساب

شرح زهديات أبي العتاهية

فهرست شيوخه أو فهرسته

البيان عن تلاوة القرآن

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد

الإنصاف فيما في بسم الله من الخلاف

البستان في الأخدان

التجريد والمدخل إلى علم القرءات بالتجويد

جامع بيان العلم وفضله

رسالة في أدب المجالسة وحمد اللسان

العقل والعقلاء وما جاء في أوصافهم عن الحكماء والعلماء

الكافي في فقه أهل المدينة

الدرر في اختصار المغازي والسير

الشواهد في إثبات خبر الواحد

القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم

أخبار أئمة الأمصار

المبحث الثالث: وصف كتاب

"جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله"

أولاً: وصف الكتاب

ثانياً: خطبة الكتاب

ثالثاً: أهم الآراء التربوية التي أشار إليها ابن عبد البر

رابعاً: نظرية التعلم الشرطي عند ابن عبد البر

خامساً: أهم التطبيقات التربوية التي أشار إليها ابن عبد البر

وفيما يلي تعرض الباحثة العناصر السابقة بالتفصيل، وذلك على النحو التالي:

أولاً: وصف الكتاب:

كتاب "جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله" قصد فيه المؤلف ابن عبد البر العلمَ الديني المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وعلم الشريعة الذي أعده جوهر العلم كله وما ينبغي أن يكون غاية مطلب المؤمن، وما يقيم عليه وجوده، ويعمل على ضوئه للحياة الدنيا والأخرة جميعاً، وإذا أعوزته الوسائل التي يتوسل بها إلى علم الشريعة وأدراك مقاصدها مما في كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم كان عليه أن يحصِّل هذه الرسائل وأن يطلبها من مظانها لا لذاتها وإنما لما يتوسل إليه بها من حقائق الشريعة .

ويضم الكتاب مبحثين المبحث الأول: يشمل بعد خطبة المؤلف ٣٩ باباً و ١٢ فصلاً، والمبحث الثاني٣٠ باباً، ومسائل تحت كل باب، وكان المؤلف يقوم كل باب على رأس موضوع مستقل بذاته، يتناول جزئية من جزئيات القضية التي عالجها عن العلم وفضله وما يدور في فلك العلم وفضله، ونلاحظ أن كل الأبواب والفصول قد شملت القواعد والأفكار التربوية المنظمة والمتداخلة، وبها نصائحُ وإرشادات يرى ابن عبد البر ضرورة

اتباعها والأخذ بها من قبل المعلم والمتعلم، وقد استخدم في كتابه هذا جملة من الأساليب التربوية المتنوعة كالاستشهاد بالأشعار وقص القصص وضرب الأمثال والتشبيهات إلى غير ذلك من الأساليب التي تقرب المعنى وتثبته بالأذهان.

وقد بدأ المؤلف الباب الأول بالحديث الشريف: "**طلب العلم فريضة على كل مسلم**" ثم أخذ يعرض الروايات المتعددة لهذا الحديث، مدعماً بأسانيدها فإذا استوفى المؤلف جمع الروايات التي روى بها الحديث متصلة بأسانيدها أتى ببعض أقوال العلماء والحكماء فيما يتصل بفضل العلم ووجوب السعي لتحصيله، أما معنى الحديث ذاته فلا يرجع فيه المؤلف إلى فهم خاص له من ذات نفسه بل يرجع في ذلك إلى أقوال السلف يرويها بأسانيدها أيضاً.

وهكذا نجد المؤلف ابن عبد البر يعرض الرواية التي يستدل بها على معنى الحديث ومراميه دون أن يجرح رأياً أو يعدله إلا في القليل النادر حيث يعلق بقوله: " قال أبو عمر "يقصد نفسه مضيفاً الرأي الراجح إذ يقول: "والذي عليه الجمهور" "والذي عليه أهل السنة " "والذي عليه جمهور العلماء"، فهو متبع لا مبتدع، ملتزم بمنهج إمامه الإمام مالك متبع لطريقته، لا يقول بالرأي ولا يعول عليه ولا ينطق إلا بما نطق به الكتاب والسنة والسلف الصالح من هذه الأمة.

وهكذا استمر ابن عبد البر في كل أبواب الكتاب على ما سار عليه في الباب الأول، فبعدما يفرغ من بيان فضل العلم وما يتصل به من الحرص على طلبه والعمل به وما ينبغي لحامل العلم وطالبه من آداب في الطلب والتلقي، وما يتوسل به لنشر العلم وما توعد الله تعالى به العلماء الذين يطلبون العلم للمباهاة والجاه والحظوة عند ذي الملك والسلطان .

ثم ينتقل إلى المبحث الثاني: فيبدؤه بما جاء عن مسألة الله عز وجل العلماء يوم القيامة بما عملوا فيما علموا، ثم يتلو ذلك بباب جامع في العمل بالعلم، ويجمع في هذا الباب

من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما يناسب ذلك من الأقوال الجامعة للعلماء والحكماء وذوي السداد في الرأي إلى أبيات ومقطعات من الشعر وبعد إيفائه القول في هذا المبحث ينتقل إلى مباحث فقهية فيذكر العلم الذي يقع عليه اسم الفقه والعلم مطلقاً ثم يقسم العلوم إلى ثلاثة أقسام -:وهي: علم أعلى وهو:علم الدين، وعلم أوسط: وهو معرفة علوم الدنيا التي يكون معرفة الشئ منها بمعرفة نظيره كعلم الطب والهندسة، وعلم أسفل: وهو علم إحكام الصناعات وضروب الأعمال كالسباحة والفروسية وما أشبهها من أعمال.

وفي تقسيمه للعلوم يؤخذ عليه مأخذ إذ كيف ينزل الصناعات والحرف التي يقوم عليها عمران الحياة وبممارستها وكسب المهارات فيها يتفتق ذهن الإنسان وينمى مداركه ومنها تولدت العلوم والمعارف وظهرت المخترعات، وينزل الفروسية إلى هذا الوضع الذي يزري ويزهد في طلبها، ثم ينتقل المؤلف إلى باب آخر يتناول فيه من يسمى فقيهًا أو عالمًا حقيقة لا مجازاً، ومن يجوز له الفتيا عند العلماء، ثم انتقل إلى باب ما يلزم العالم إذا سئل عما لا يدريه من وجوه العلم .

- ثم ينتقل إلى أبواب في أصول الفقه كالاجتهاد والمقايسة في الفقه وخطأ المجتهدين المفتين والحكام والالتباس في الفرق بين الدليل والقياس، ثم ينتقل لبحث آخر جامع لبيان ما يلزم الناظر في اختلاف العلماء واثبات المناظرة وذم القول في الدين بالرأي والظن، ثم باب موضع السنة من الكتاب ثم باب تأويل القرآن أو تدبره وهو جاهل، ثم باب عن فضل السنة ثم يختم الكتاب بأبواب عن إنكار أهل العلم ما يجدونه من الأهواء والبدع وفضل النظر في الكتب والعناية بالدفاتر . (ابن عبد البر القرطبي،١٤٠٢هـ،ص١٩-٢٠

ثانياً: خطبة الكتاب:

بدأ ابن عبد البر خطبته بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله، ثم أخذ يبين العلة من تأليف الكتاب وجمع أدلته مستعرض ما سبق في ذكر معنى العلم وعظم طلبه وحمد السعي فيه والعناية به مدعماً قوله بالأدلة المختلفة من ذكر آيات من الذكر الحكيم وأحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال للعلماء والحكماء وأبيات من الشعر.

ثالثاً: : أهم الآراء التربوية التي أشار إليها ابن عبد البر

ومن أهم الآراء التربوية التي أشار إليها ابن عبد البر أيضاً في كتابه:

١- مبدأ وجوب إخلاص النية لله عز وجل.

٢- مبدأ أهمية التعليم وتحريم كتمان العلم:

- قال ابن عبد البر في تمام مقدمته :(وسارعت فيما طلبت رجاء عظيم الثواب وطمعًا في الزلفى يوم المآب ولما أخذه الله عز وجل على المسئول العالم بما سئل عنه بيان ما طلب منه وترك الكتمان لما علمه) .(ابن عبد البر القرطبي، مرجع سابق،ص٢١-٢٢)
- ويسمى أيضاً في التربية الحديثة حق التعليم.

٣- مبدأ وجوب طلب العلم:

- قال ابن عبد البر باب قوله صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم) وساق الأدلة والآثار الدالة على وجوب طلب العلم .(ابن عبد البر القرطبي، مرجع سابق، ص٢٦)

ويدل ذلك على أن علماءنا سبقوا إلى تحقيق إلزامية التعليم، وهو ما تحاول التربية الحديثة تحقيقه اليوم.

٤- مبدأ العمل بالعلم:

- عقد ابن عبد البر أكثر من باب لهذا المبدأ مثل "باب ما جاء في مساءلة الله عز وجل العلماء يوم القيامة عما عملوا فيما علموا" وساق الأدلة في ذلك. (ابن عبد البر القرطبي، مرجع سابق،ص٢٧٨)

وهذا يثبت لنا سبق علماء الإسلام إلى هذا المبدأ قبل أن يأخذ به الغربيون ويقيموا على أساسه الانقلاب الصناعي (الذي قام على أساس استخدام قوانين العلم في الصناعة أي العمل بها وهو أساس مبدأ التقنية) .

٥- مبدأ الفطرة "كل مولود يولد على الفطرة ":

- يرى ابن عبد البر مع جمهور علماء المسلمين وسلفهم أن كل مولود يولد على فطرة الإسلام فإذا انحرف عن هذه الفطرة كان السبب أبويه أو من يقوم مقامهما من المربين، فالمربون المسلمون يرون المحافظة على فطرة الطفل بتربيته على الحنيفية والاستقامة التي فطر عليها أي على الإسلام، ويسمى "الطبيعة الإنسانية الخيرة ".

٦- مبدأ الإخلاص لله في طلب العلم وإرادة الخير به :

- عقد الإمام ابن عبد البر لهذا المبدأ بابًا من كتاب جامع بيان العلم وفضله سماه "باب ذم الفاجر من العلماء وذم طلب العلم للمباهاة والدنيا "ولقد جعل علماؤنا أول مراتب العلم النية فإذا أطلقت النية في طلب العلم أريد بها النية الخالصة لله تعالى وإلا لم يكن علمه صحيحًا سليمًا" .

٧- التعليم مجانًا:

- روى ابن عبد البر بسنده عن أبي العالية قال: "مكتوب عندهم في الكتاب الأول: ابن ادم علم مجانًا كما علمت مجانا" ومعناه: كما لم تغرم ثمنًا فلا تأخذ ثمنًا، والمجان عندهم الذي لا يأخذ ثمنًا، أي: مجانية التعليم وتكافؤ الفرص التعليمية.

٨- مبدأ نشر العلم وتبليغه :

- عقد ابن عبد البر لهذا المبدأ (باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لمستمع العلم وحافظه ومبلغه) وذكر في هذا الباب روايات وألفاظًا عديدة، (ابن عبد البر القرطبي، مرجع سابق،ص٧٠)

لحديث زيد بن ثابت وابن مسعود أن النبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "نضَّر الله امرأ سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"، و عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، ذَكَرَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ . أَوْ بِزِمَامِهِ . قَالَ " أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟". فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ. قَالَ " أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ". قُلْنَا: بَلَى. قَالَ " فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟". فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. فَقَالَ " أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ؟ ". قُلْنَا بَلَى. قَالَ " فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا. لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ ".(صحيح البخاري، كتاب العلم،٩- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "رب مبلغ أوعى من سامع " ح٦٧)

٩- مبدأ الأمانة العلمية والصدق في نقل العلم وإصلاح اللحن والخطأ:

- فقد ضمن هذا المبدأ في (باب آفة العلم وغائلته وإضاعته) حيث ذكر عددًا من الآثار عند التابعين والعلماء كالزهري الذي قال : (ومن غوائله الكذب فيه وهو شر غوائله) ، وأورد أثر محمد بن سيرين قال: (كان أنس بن مالك إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثًا ففرغ منه قال: أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم). (ابن عبد البر القرطبي، مرجع سابق،ص١٧٤)

١٠- آداب طلب العلم:

أورد ابن عبد البر آدابًا كثيرة لطلب العلم تذكر منها الباحثة:

- التواضع وترك الدعوى والفخر.

- الترحيب بالأحداث وتعليمهم والتلطف بهم.
- احترام العالم والتأدب بحضرته.

١١- الإشارة إلى وجوب التمثل بالأخلاق الفاضلة للعالم المعلم؛ كالإنصاف والعدل والتواضع والحلم، والحذر من الأخلاق المذمومة؛ كالحسد والحقد والعجب، وغيرها.

١٢- تقسيم العلوم الى أنواع أي: ما يسمى المناهج.

- ومن ذلك نجد ضرورة لتكييف المناهج التعليمية مع متطلبات العصر ومتغيراته وحاجاته.

١٣- التشديد على الحفظ خاصة القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

١٤- ينبغي معارضة ما يكتب، ويراجع أكثر من مرة مخافة السقط أو الخطأ، وأيضًا المذاكرة كما قيل للأصمعي: "كيف حفظت وينسى أصحابك؟ قال: درست وتركوا، " أي: ذاكر وراجع فحفظ، وللعلم آفة وآفته النسيان، كما قال صلى الله عليه وسلم: "آفة العلم النسيان"، وقال الزهري: "إنما يذهب العلم النسيان وترك المذاكرة".

١٥- التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، وقيل: كالطباعة على الطين وهو رطب.

١٦- عدم الإنزال من شأن الصغار أو تسفيه وتهميش رأيهم حتى لو لم يؤخذ به بل ينبغي إعطائهم فرصة المشاركة والتعبير عن الرأي أسوة بعمر ابن الخطاب رضي الله عنه الذي كان إذا نزل به أمر معضل دعا الفتيان فاستشارهم ليتبع حدة عقولهم .

١٧- إن زيادة العلم الابتغاء، ودرك العلم السؤال، وقال ابن شهاب: "العلم خزانة مفتاحها المسألة" إذ السؤال هو أول مفتاح العلم، فينبغي تحفيز الأذهان على السؤال عما جهلوا حتى يتعلموا، وهذا من الإلحاح في طلب العلم وهو يحمد فعله.

١٨- ذكر منازل العلم وهي النية ثم الإنصات ثم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر.

وقفات تربوية مما جاء في كتاب ابن عبد البر:

- قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "علموا ولا تعنتوا، فإن المعلم خير من المعنت".
- قول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: "تعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا له الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه ولمن علمتموه، ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم جهلكم بعلمكم".
- قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهدى، أحلاس البيوت، سرج الليل جدد القلوب، خلقان الثياب، تعرفون في السماء وتخفون على الأرض".
- قول الخليل بن أحمد :" اجعل تعليمك دراسة لك، واجعل مناظرة العلم تنبيها بما ليس عنك، وأكثر من العلم لتعلم، وأقلل منه لتحفظ".
- قول الحسن: "إن من أخلاق المؤمن قوة في الدين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وحرص على علم وشفقة في تفقه، وقصد في عبادة، ورحمة للمجهود، وإعطاء للسائل، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب، في الزلازل وقور، وفي الرخاء شكور، قانع بالذي له ينطق ليفهم، ويسكت ليسلم، ويقر بالحق قبل أن يشهد عليه" .
- آبيات من الشعر استشهد بها وهي للمأمون بها آداب التعلم والتفقه :

واعلم بأن العلم بالتعلم	والحفظ والإتقان والتفهم
والعلم قد يرزقه الصغير	في سنه ويحرم الكبير
فإنما المرء بأصغريه	ليس برجليه ولا يديه
لسانه وقلبه المركب	في صدره وذلك خلق عجب
والعلم بالفهم وبالمذاكرة	والدرس والفكر والمناظرة
فرب إنسان ينال الحفظا	ويورد النص ويحكى اللفظا
وماله في غيره نصيب	مما حواه عالم الأديب

ورب ذي حرص شديد الحب للعلم والذكر بليد القلب
معجز في الحفظ والرواية ليست له عما روى حكاية
وآخر يعطى بلا اجتهاد حفظا لما قد جاء في الإسناد
يهزه بالقلب لا بناظره ليس بمضطر إلى قماطره
فالتمس العلم وأجمل في الطلب والعلم لا يحسن إلا بالأدب
والأدب النافع حسن السمت وفي كثير القول بعض المقت
فكن لحسن السمت ما حييتا مقارفا تحمد ما بقيتا
وان بدت بين أناس مسالة معروفة في العلم أو مفتعلة
فلا تكن إلى الجواب سابقا حتى ترى غيرك فيها ناطقا
فكم رأيت من عجول سابق من غير فهم بالخطأ ناطق
أزرى به ذلك في المجالس عند ذوى الألباب والتنافس
والصمت فاعلم بك حقا أزين إن لم يكن عندك علم متقن
وقل إذا أعياك ذاك الأمر مالي بما تسال عنه خبر
فذاك شطر العلم عند العلما كذاك مازالت تقول الحكما
إياك والعجب بفضل رايكا واحذر جواب القول من خطائكا
كم من جواب أعقب الندامة فاغتنم الصمت مع السلامة
العلم بحر منتاه يبعد ليس له حد إليه يقصد
وليس كل العلم قد حويته اجل ولا العشر ولو أحصيته
وما بقى عليك منه أكثر مما علمت والجواد يعثر
فكن لما سمعته مستفهما إن أنت لا تفهم منه الكلما
القول قولان فقول تعلقه وآخر تسمعه فتجهله
وكل قول فله جواب يجمعه الباطل والصواب

وللكلام أول وآخر فافهمهما والذهن منك حاضر
لا تدفع القول و لا ترده حتى يوديك الى ما بعده
فربما أعيا ذوى الفضائل جواب ما يلقى من المسائل
فيمسكوا بالصمت عن جوابه عند اعتراض الشك في صوابه
ولو يكون القول في القياس من فضة بيضاء عند الناس
إذا لكان الصمت من خير الذهب فافهم هداك الله آداب الطلب

رابعا: أهم النظريات التربوية التي أشار إليها ابن عبد البر القرطبي في كتابه (النظرية الشرطية):

أشار ابن عبد البر القرطبي في كتابه إلى نظرية مهمة تعتبر من أهم نظريات التعلم في العصر الحديث، وهي النظرية الشرطية التي حظيت بكثير من البحث والدراسة في الميدان التربوي من قبل العلماء والمربين على مر عصور الفكر التربوي، وقد كان له السبق في الإشارة إلى هذه النظرية حيث قال: "**إن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدًا إذا كان على التدرج شيئًا فشيئا، وقليلا قليلا**"، فيفهم من ذلك كما أشار العلماء إلى أن تكوين رباط شرطي من الدرجة الثالثة أصعب من تكوينه من الدرجة الثانية، وهو بدوره أصعب من رباط الدرجة الأولى؛ لذا وجب على المعلم إلا يقدم لتلاميذه خبرة تعليمية جديدة قبل أن يتأكد من استيعابهم للخبرات السابقة. ولهذا نجد كثيرًا من المربين المسلمين الأوائل يرى عدم نقل التلميذ من علم أو فن حتى يتقنه.

خامساً: أهم التطبيقات التربوية التي أشار إليها ابن عبد البر:

١- كلما تعقدت الخبرة التعليمية المراد تعليمها كلما تطلبت جهدا أكبر من المعلم عن طريق تكرار وشرح هذه الخبرة حتى يتم استيعابها.

ونجد إن المعارف والعلوم تختلف من حيث الصعوبة، منها ما يحتاج إلى تكرار وتطبيق وإعادة شرح، وبخاصة إذا كانت المعارف جديدة ومجردة، وليس عيبًا أن يكرر المعلم بعض عباراته لتفهم، فلقد كان من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكرر ثلاثا. (الاسمري، نظريات التعلم في ضوء التربية الإسلامية، الموقع الالكتروني).

- مثال ذلك مما أورده ابن عبد البر القرطبي -: عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم :"أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاَثًا". وعَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: "أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلاَثًا، وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا". وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ تَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ سَافَرْنَاهُ، فَأَدْرَكَنَا وَقَدْ أَرْهَقْنَا، الصَّلاَةَ صَلاَةَ الْعَصْرِ وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ " وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ ". مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا. (صحيح البخاري، ٣٠- باب من أعاد الحديث ثلاثاً حتى يفهم،ح٩٤-٩٥-٩٦) .

ما يفيده التكرار -:

إن التشويق من خلال تكرار الكلمة أكثر من مرة يبين المعلوم، وإنَّ التكرار يولِّد القرار، ويُورث الحفظ والفهم، وقد يكون التكرار لإثارة الانتباه وجذب السامع، وجعله يصغي لما سيقال، وتكرار الكلمة كان أسلوباً من أساليب الخطاب النبوي، وأيضًا نجد أن استخدام أسلوب التكرار في التعليم له فوائد عظيمة النفع منها: التأكيد على مسألة مهمة، أو حكم مهم، ومنها: تنبيه الغافل ومن به نعاس ونحوه، ومنها حفظ الشيء المكرر، والاقتصار

على ثلاث مرات، أمر قد تكرر كثيراً في أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم كما سبق مثال ذلك .

قال ابن التين: "فيه أن الثلاث غاية ما يقع به الاعتذار والبيان"، ومن تأمل ذلك وجده كما قال، وقد يزاد على الثلاث للحاجة كما يترآى من قول الرسول صلى الله عليه وسلم، والتكرار قد يكون في الكلمات والجمل وقد يكون في الأسماء وقد يكون في غيرهما".

قال المباركفوري: والمراد أنه " كان صلى الله عليه وسلم يكرر الكلام ثلاثاً" إذا اقتضى المقام ذلك لصعوبة المعنى أو غرابته أو كثرة السامعين لا دائماً فإن تكرير الكلام من غير حاجة لتكريره ليس من البلاغة كذا في شرح الشمائل للبيجوري، وقوله: "لتُعقل عنه" (بصيغة المجهول، أي: لتفهم تلك الكلمة عنه صلى الله عليه وسلم).

مثال تكرار الاسم :

- عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل . فقال: يا معاذ بن جبل، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: يا معاذ، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثلاثاً، قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا اله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار، قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: إذا يتكلوا، "وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً "، وفي هذا الحديث نلحظ تكرار مناداة الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل ثلاث مرات"، والسر في ذلك –والله أعلم– في تهيئة معاذ للخير العظيم الذي سوف يحمله، ويدلل على ذلك قول معاذ في الحديث: أفلا أخبر الناس فيستبشروا؟ فإن فيه دلالة واضحة عن عظم هذا الحديث وجلالة قدره، لما فيه من البشرى العظيمة. ونستخرج من هذا الحديث، أن المعلم إذا أراد أن يبث خيراً مهمًا لأحد طلابه أن يناديه باسمه ثلاث مرات، ثم يلقي إليه الخبر، وقس على ذلك لو كان جماعة فله أن يناديهم بالاسم الذي يجمعهم، كأن يقول: (يا طلاب ثلاثًا أو نحوًا من ذلك) .

الخلاصة:

- ❖ التكرار ثلاثاً غاية ما يحصل به البيان، ولكن قد يزاد فوق الثلاث لحاجة.
- ❖ التكرار وسيلة ناجعة في حفظ المعلومات، وفي التركيز على النقاط المهمة .
- ❖ تكرار الاسم يجعل المنادي يتهيأ لاستقبال الخير.
- ❖ وفي التكرار التنبيه على أن الشيء المذكور مهم جداً ولا ينبغي إغفاله.

وفيه أيضا تثبيت الشيء المذكور في ذهن السامع أو القارئ . (موقع صيد الفؤائد،"أساليب إثارة الانتباه السمعية في السنة النبوية") ، الموقع الالكتروني .

٣- كلما حذفت العوامل المشتتة لانتباه التلاميذ أثناء الدرس كلما ساهم ذلك في تسهيل عملية التعلم.

إن محاولة لفت الانتباه والتخلص من أي مثيرات خارجية قد تجعل التلميذ يتشتت ذهنيًا.

٤- من أهم الأعمال التربوية التي يجب أن يمارسها المعلم التفنن في الإلقاء.

التفنن في الإلقاء:

على المربي المسلم أن ينوع في تدريسه، وأن ينقل طلابه من حال إلى حال، فلا يملون حديثه، ويستعذبون مورده، ويطلبون المزيد منه فهم لا يملونه ولا يسأمونه، وهذا هو المنهج الرباني في الخطاب القرآني فكان تنجيماً على خمس وعشرين حجة، ولم ينزل دفعه واحدة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة ينتظرون الوحي بفارغ الصبر، ويفرحون بنزوله، ويتبارون في حفظه وفهمه وترتيله، كذلك هم مع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فهم إليه أسرع من الظمآن إلى ماء الزلال.

فلم يكن صلاة الله عليه وسلامه يكثر من النصوص في المجلس الواحد بل كان ينجِّم حديثه على أصحابه، وكان صلى الله عليه وسلم "إذا تكلم بكلام فصَّله ليفهمه كل من سمعه".

هذا وقد كان منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في عرضه لحديثه الشريف أن يعرضه على جانب من الإيجاز والإقلال والتفصيل والترسل حتى يتم فهمه من الصحابة على أدق وجه وأفضله، ولقد صور أنس ذلك لنا فقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم: "كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاث، حتى تفهم عنه"، وكان يحدث حديثاً لوعده العاد لأحصاه"، وذلك لأن في كلامه ترتيل وترسيل .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: " كان كلام الرسول صلى الله عليه وسلم مفصلاً يفهمه كل من يسمعه"،

لذلك كان لزاماً على المربي أن لا يطيل الحديث ويطنب في الحواشي والشروح فيفسد اللب ويذهب بالأصل فيمله السامع، فلقد كان من هدي أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الاختصار والإيجاز فهذا ابن مسعود فيما يرويه ابن الجوزي بسنده إلى عبد الله بن مرداس قال: "كان عبد الله يخطبنا كل خميس فيتكلم بكلام، فيسكت حين يسكت ونحن نشتهي أن يزيدنا"، أما معلم اليوم فإن حال القائل معه ليته سكت من التطويل والشرح الممل.

ويقول ابن عباس رضي الله عنه: "حدث الناس كل جمعة فان أكثرت فمرتين، فان أكثرت فثلاث، ولا تمل الناس من هذا القرآن، ولا تأت القوم وهم في حديث فتقطع عليهم حديثهم، وقال: أنصت فإذا أمرُوك فحدثهم وهم يشتهونه، وإياك والسجع في الدعاء فإني عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم و أصحابه لا يفعلونه".

ثم إن الإلقاء الممتع يجذب المتعلم ويؤثر فيه :" ففي أخبار مكة للفاكهي أن ابن عمر رضي الله عنه: "كان يجلس إلى عبيد الله بن عمير، وعبيد الله يقص خلف المقام، فرأيت عيني ابن عمر تذرفان دمعاً، وهو يقول: لله درك يا ابن قتادة" .(الاسمري،عبدالله حلفان العايش، مرجع سابق، الموقع الالكتروني).

ومن وصايا ابن مسعود رضي الله عنه في مراعاة حالة المتلقي ما ذكره صاحب جامع بيان العلم ابن عبد البر إذ قال: "حدث القوم مارمقوك بأبصارهم فإذا رأيت منهم فترة فانزع"، وقوله رضي الله عنه: "حدث القوم ما أقبلت عليك قلوبهم فإذا انصرفت قلوبهم فلا تحدثهم، قيل له: وما علامة ذلك؟ قال: إذا أحدقوك بأبصارهم فإذا تشاءوا واتكأ بعضهم على بعض فقد انصرفت قلوبهم فلا تحدثهم".

فهذه معرفة تامة بحالة التلاميذ ومدى إقبالهم وعلامات إعراضهم عن العملية التعليمية لما اعتراهم من التعب فحيينها يجب على المربي أن يعطيه وقتاً للراحة أو صرفه من مكان التعليم.

ولهذا كان الخطيب البغدادي يرى كراهية التحديث لمن عارضه الكسل والفتور؛ لأن حالته ليست مقبلة على التعلم فيقول: حق الفائدة أن ألا تُساق إلا إلى مبتغيها، ولا تعرض إلا على الراغب فيها، فإذا رأى المحدث بعض الفتور من المستمع فليسكت، فان بعض الأدباء قال: (نشاط القائل على قدر فهم السامع)،

وهذه بحق قاعدة تربوية يجب إدراكها، نشاط القائل على قدر فهم السامع، وكما قيل: لكل مقام مقال.

ومن أقوال ابن مسعود التربوية الخالدة: "إن للقلوب شهوةً إقبالاً وإن للقلوب فترةً وأدبارًا، فاغتنموها عند شهوتها، ودعوها عند نفرتها وأدبارها "، ولهذا كان ابن مسعود رضي الله عنه "لا يحدث إلا يوم الخميس من كل أسبوع"، وقال أبو عالية: "حدث القوم ما حملوا، قيل له: ماحملوا؟ قال: ما نشطوا".

وليصن بدنه عن الزحف والتنقل عن مكانه، ويديه عن العبث والتشبيك بها، وعينه عن تفريق النظر بغير حاجة، وتجنب المزاح وكثرة الضحك، وعدم رفع الصوت أكثر من الحاجة، أو خفضه خفضًا لا يجعل معه كمال الفائدة، بل يجب أن يكون صوته متوسطًا بحيث لا يجاوز مجلسه ولا يقصر عنه سماع الحاضرين.

وقد يكون ذلك مفيد في عصرنا هذا عند الوقوف إلى جانب اللوحة –سبورة– وعدم العبث بالألوان والطباشير والتحرز منها لا تقع على الوجه عند مسح العرق أو على الملابس مما يكون فيه توسيخ للملبس أو المنظر، وعليه أن يقف أو يجلس في مكان بارز للجميع، ولا يتعب التلاميذ في رؤيته ومتابعته.

٥- لما كان للتعزيز دور كبير في تعلم الاستجابة الشرطية لذلك يفضل أن يقوم المعلم بعملية تعزيز للإجابات الصحيحة الصادرة من التلاميذ ولو بالتشجيع المعنوي. ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعزز أصحابه ويثني عليهم عندما يبدر منهم أعمال فاضلة .

٦- تشجيع المحسن والثناء عليه،إن من أساليب التربية الناضجة الثناء على المحسن وتشجعه عند تفوقه وأداء عمله على الوجه الصحيح وكم من كلمة ثناء دفعت بعض الأفراد إلى تحقيق إنجازات لم يكونوا يحلموا بها وكم من كلمة ثناء ساعدت الإنسان على تجاوز محنته ومصاعب الحياة من حوله وكم من معلم أسدى التشجيع لطلابه والثناء عليهم عند أدائهم لأعمالهم على الوجه المطلوب دفعتهم إلى الاستمرار في التعلم والإقبال على المعلم والتأثر به وجعلت بعضهم يتفاخر مع الأيام بذلك الثناء العطر من معلمه عليه ولا غرابة فالنفس البشرية تواقة إلى هذه المعززات لترفع من قدراتها .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال :قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة ... لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود، "قال :أبو موسى :يا رسول الله لو أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحبيرًا". (البخاري، مرجع سابق، ح ٤٧٦١،ص ٧١٢)

ولقد جاء وفد نجران إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا: "ابعث معنا رجلاً يقضي بيننا ...فأخذ بيد أبي عبيدة، فقال :هذا أمين هذه الأمة، " وأثنى على أبي هريرة رضي

الله عنه لما سأله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: " ما ظننت أنه سيسألني أحد غيرك".

وقوله صلى الله عليه وسلم يثني على بعض الصحابة: "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في الله عمر، وأقضاهم علي، وأفرضهم زيد، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل"، وقال النبي صلى الله عليه وسلم ":خذوا القرآن من أربعة: من ابن أم عبد، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة". ومدح خالد بن الوليد فقال صلى الله عليه وسلم: "حتى أخذها سيف من سيوف الله"، والناظر في فضائل الصحابة في كتب السنة يرى الهدي النبوي في تشجيعه لأصحابه، وحثه لهم، وإبراز خصائصهم، وما جبلوا عليه من فضائل، وكيف أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون قدراتهم".

وينبغي على كل معلم صادق أن يشجع تلاميذه على المواقف الحسنة، وأن ينوه بهم وبقدراتهم أمام أنفسهم وأمام زملائهم وفي التجمعات المدرسية.

ليدفع بينهم شعور التنافس والمبادرة في الخير، وأن يتعرفوا على قدرات بعضهم بعضًا فإن ذلك يساعد التلميذ على شق طريقه في الحياة، فيعرف بهذه القدرات، ويسند إليه ما هو أهل له، وذلك من أجل هذا التخصص أو الموهبة هي التي تحقق له الإبداع والنجاح ولن يصل الطالب إلى ذلك ما لم يكن المعلم مساعداً ومكتشفاً لتلك القدرات. يقول يوسف بن يعقوب بن الماجشون: إنه كان هو أخ له وابن عمه يطلبون العلم عند الزهري فقال لهم: "لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم يبتغي حدَّة عقولهم.

والثناء على المتعلم من الحوافز المعنوية التي ترفع همة الطالب وتقع في نفسه موقعاً جيداً قال ابن جماعة: "من رآه مصيباً في الجواب ولم يخف عليه شدة الإعجاب شكره وأثنى عليه بين أصحابه ليحثه وإياهم على الاجتهاد في طلب الازدياد، ومن رآه مقصراً ولم يخف نفوره عنفه على قصوره وحرضه على الهمة ونيل المنزلة في طلب العلم".

٧ - مراعاة الجوانب النفسية والتربوية للمتعلم، وبيئته: فعن أنس بن مالك قال: "بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله: مه مه، قال صلى الله عليه وسلم: "لا تفزعوه، دعوه" فتركوه حتى بال، ثم أن رسول الله دعاه فقال له: "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء مثل هذا البول والقذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن"، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلوا من ماء فشنه عليه".

٨ - تجنب إحراج المتعلم: وذلك بالابتعاد عن سؤال المتعلم عن أمر خاص لا يود أن يُطلع عليه أحداً من الناس.

٩- العناية بتعليم المرأة: فحين صلّى العيد - صلى الله عليه وسلم- اتجه إلى النساء فوعظهن وأمرهن بالصدقة، بل تجاوز الأمر مجرد استغلال اللقاءات العابرة، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: "مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلاَثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلاَّ كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّار". فَقَالَتِ امْرَأَةٌ وَاثْنَيْنِ فَقَالَ " وَاثْنَيْنِ" (صحيح البخاري، ٣٥- باب هل يجعل للنساء يوما على حدة للتعليم،ح ١٠١).

١٠- التوجيه للتخصص المناسب: روى البخاري تعليقاً والترمذي عن زيد بن ثابت: أن قومه قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ها هنا غلام من بني النجار حفظ بضع عشرة سورة، فاستقرأني، فقرأت سورة ق، فقال: إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا علي أو ينقصوا، فتعلم السريانية .فتعلمها -رضي الله عنه -في سبعة عشر يوماً .

١١ - مخاطبة المتعلمين بأحب أسمائهم واستخدام الكنى :عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله يكني أصحابه، إكراماً لهم "، ويقول ابن عباس رضي الله عنهما: "أعز الناس علىَّ جليسي الذي يتخطى الناس إليَّ، أما والله إن الذباب يقع عليه فيشق

علي"، وقال الأحنف بن قيس: "لو جلست إلى مائة لأحببت أن التمس رضا كل واحد منهم".

ولعله من المهم أن يوضع في الاعتبار ما يأتي: إن ما ورد من أساليب وسبل تربوية/تعليمية ما هو إلا غيض من فيض، وكتب السنة المطهرة تزخر بالكثير من ذلك. فرسول صلي الله عليه وسلم قد استخدم وسائل تربوية /تعليمية متنوعة ما بين بصرية وسمعية بصرية، بما يتناسب مع مقتضيات الموقف، ومن تلك الوسائل: الإشارة بالأصابع، وباليد، وباليدين معًا، والتشبيك بين الأصابع، والإشارة إلى الوجه والكفين، وإلى السمع والبصر، وإلى الصدر، وإلى الحلق، وإلى اللسان، واستخدام الحصى والعصا، والرسم على الأرض، والعروض أو التوضيحات العملية، استخدام المجسمات / الدمى، واستخدام الأشياء الحقيقية ... الخ، مع تذكر أن البيئة في عهده، صلى لله عليه وسلم، لم تكن لتساعد على توفير الوسائل التقنية/التعليمية، وأنه لم يكن ليتكلف صنع تلك الوسائل، بل كان يوظف الإمكانات المتاحة في البيئة المحلية، وأن الرسول أميّ لا يقرأ ولا يكتب، قال الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آَمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ الاعراف(١٥٧-١٥٨)، كما أن معظم الصحابة رضي الله عنهم أميون.

- إن تلك الوسائل التربوية /التعليمية، كان لها آثارٌ إيجابية واضحة مثل: تأكيد معنى، وزيادة وضوح وبيان، وإبراز أهمية الموقف التربوي التعليمي، وإطالة أمد التعلم، وإثارة انتباه المتعلمين، ونحو ذلك من الفوائد والمزايا التربوية

حتى أن بعض الصحابة ظلوا يتذكرون الوسيلة التعليمية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم أمامهم بعد سنوات من مشاهدتها، مما يؤكد عظيم الأثر الذي تركته في نفوسهم، مثل قول البراء بن عازب رضي الله عنه: "سمعت رسول الله أشار بأصابعه – وأصابعي أقصر من أصابع رسول الله.

وثمة سؤال يُطرح: إذا كان الرسول قد استخدم مثل الوسائل التعليمية في تعليم أصحابه، فماذا يعني ذلك بالنسبة للمربين المسلمين حالياً؟.

فحري بالمعلمين والدعاة التأسّي بهديه في تعليم الناس أمور دينهم ودنياهم، وإذا كان الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم قد استخدم وسائل تعليمية في تعليم الكبار، فإنّ من البديهي أنّ الصغار أشد حاجة إليها؛ لأنه يصعب عليهم إدراك المفهومات المجردة بدون استخدام وسائل تساعدهم على الفهم والإدراك، وتعينهم على التركيز والانتباه لشرح المعلم والتفاعل الإيجابي معه، ولذلك فإن على المربين أو المعلمين الدعاة الحرص على توظيف هذه الوسائل النافعة أثناء أدائهم لعملهم خدمة لأهدافهم، وتشويقًا لسامعيهم، وتوفيرًا لوقتهم، وقبل ذلك كله تأسّيًا بنبيهم.

- لم يعد اعتماد النظم التعليمية الحديثة على التقنيات التربوية والوسائل التعليمية ضرباً من الترف، بل بات ضرورة من الضرورات لضمان نجاح تلك النظم. لذا فقد تطورت تطوراً متلاحقاً كبيراً حتى وصلت إلى أرقى مراحلها التي نشهدها اليوم في ظل ارتباطها بنظرية الاتصال الحديثة واعتمادها على مدخل النظم.
- وهي تلعب دوراً جوهرياً في إثراء التعليم من خلال إضافة أبعاد ومؤثرات خاصة وبرامج متميزة تساعد على اشتراك جميع حواس المتعلم، فاشتراك جميع الحواس في

عمليات التعليم يؤدي إلى ترسيخه وتعميقه، كما تساعد على استثارة اهتمام المُتعلم وإشباع حاجته للتعلم، فيكتسب خبرات واقعية متراكمة تحقيق أهدافه. وتزيد من مشاركته الايجابية في اكتساب خبراته، ولها أهميتها في تيسير بناء مفاهيم سليمة، وتنمية أفكار وقدرات ومهارات متعددة، وتعديل السلوك، وتكوين الاتجاهات الجديدة، وتنويع أساليب التعزيز التي تؤدي إلى تثبيت الاستجابات الصحيحة) نظرية سكنر .(كما تساعد تلك التقنيات/الوسائل التعليمية على تحاشي الوقوع في "اللفظية".

وكما قيل: إن المُعلم قد يستعمل ألفاظاً ليست لها عند المُتعلم الدلالة التي لها عند الأول، ولا يحاول توضيح هذه الألفاظ المجردة بوسائل مادية محسوسة تساعد على تكوين صور مرئية لها في ذهن الطالب، ولكن إذا تنوعت هذه الوسائل فإن اللفظ يكتسب أبعاداً من المعنى تقترب به من الحقيقة، الأمر الذي يساعد على زيادة التقارب والتطابق بين معاني الألفاظ في ذهن كل من أطراف العملية التربوية والتعليمية. كما تُسهم في تنويع أساليب التعليم لمواجهة الفروق الفردية بين المتعلمين. والتقنيات التربوية/التعليمية تساعد على التفكير العلمي السليم، حيث إن الملاحظة والتجريب عمليتان رئيستان في هذا المجال، وتحقق أهداف التربية الحديثة في التعلم الذاتي والتعلم المستمر، فمشاهدة وسيلة معينة قد يغني عن حديث طويل، وتساهم في تنمية البحث العلمي.

كما تعتبر الوسائل التعليمية سجلاً للأحداث والظواهر التي تنتهي، فالاحتفالات والمناسبات التاريخية تسجلها الوسائل التعليمية وتحفظها للأجيال، فضلاً عن أنها تساعد في خلق الحاجة للتعلم.

- كل ذلك وغيره ينعكس في جعل عملية التعليم في صورة أفضل، واقتصادية بدرجة أكبر من خلال زيادة نسبة التعلم إلى تكلفته، فالهدف الرئيس لها تحقيق أهداف تعلم قابلة للقياس بمستوى فعال من حيث التكلفة، وتوفير الكثير من الوقت والجهد والمال، ومن المفيد الاستعانة بالتقنيات الحديثة في الاتصال والتعليم وفي تصميم وعرض بعض

الوسائل التعليمية، وبخاصة التليفزيون التربوي/التعليمي، والتعليم بمساعدة الحاسوب والإنترنت، كذلك استخدام المسجّل، وجهاز عرض الشرائح، وجهاز العرض العلوي، وجهاز عرض الأفلام الثابتة 35مم، والفيلم التعليمي المسجل على شريط فيديو، الخ... . (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الموقع الالكتروني .)

خلاصة القول: تمثل تلك الوسائل التربوية التعليمية التي استخدمها الرسول صلي الله عليه وسلم في تعليم أصحابه والناس كافة، نماذج رائدة، وافية بالغرض، فالعبرة ليس بعدد الوسائل التي استعان بها في عملية التربية والتعليم، وإنما بتقرير المبدأ والفكرة. وحيث إن الرسول مُشرّع من عند الله، فيكفي استخدامه الوسيلة لمرة واحدة، ليكون في ذلك أسوة وهديًا للمربين في كل العصور. كل ذلك وغيره يشكل ذخيرة تربوية قيمة لنا اليوم.

الخاتمة

العلم في الإسلام له مكانة كبيرة والعلماء منزلتهم عظيمة ، لذلك حفل التاريخ الإسلامي بالكثير من النماذج المشرقة لجملة من العلماء والمربين خلال العصور الإسلامية أكدوا على المبادئ والقيم الإسلامية ودعوا الى الكثير من النظريات التربوية التي اهتم بها الغرب وأولوها عناية كبيرة ومن ذلك ما استعرضناه في هذا البحث لأحد نماذج العلماء الذين اعتنوا بميدان التربية والتعليم وأولوا أهمية عظمى للتعلم والمتعلمين ، وهو ابن عبد البر القرطبي راجيتاً من الله التوفيق والسداد .

النتائج:

توصلت الباحثة من خلال هذا البحث إلى ما يأتي:

١- أسبقية الفكر التربوي لدى الأمم السابقة، إلا أنه في الإسلام له طابع خاص؛ فيما يتعلق بدنيا الإنسان وآخرته.

٢- أن علماءنا المسلمين تميزوا بالوعي التربوي في طلب العلم وما يتعلق به.

٣- أن العصور الإسلامية، وإن اختلفت سياساتها إلا أن أصولها التربوية وجذورها العميقة واحدة، وهذا دليل على شمولية التربية الإسلامية وأصالتها .

٤- كان لابن عبد البر وعلماء التربية المسلمين الأسبقية في وضع حجر الأساس لجملة من علوم التربية الحديثة كعلم مناهج وطرق التدريس والأساليب التعليمية وان اختلفت المسميات، وكانت النواة التي انطلق منها علماء التربية في العصر الحاضر فطورها لتتناسب مع التقدم العلمي والتكنولوجي الحديث.

٥ – أن ابن عبد البر وغيره من علماء المسلمين قد استفادوا من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرًا في العلمية التربوية، فطريقة كلامه، وعرضه للأفكار، ومعاملته لأصحابه، واستخدامه لطرق اتصال مختلفة معهم، كانت القاعدة الأساسية لكثير من العلوم التربوية والتعليمية الحديثة، كاستخدامه الوسائل التعليمية المتاحة، وإعادته للكلام، ... إلخ.

٦ – أن لكل متعلم من التلاميذ طريقةً خاصة يجب التعامل بها معه، والاستفادة من تلك خصوصيته في تعلم علم من العلوم وتوجيهه إليها، كتوجيه النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بن ثابت في نبوغه في الحفظ.

التوصيات:

توصي الباحثة بمايلي:

١- البحث في التراث الإسلامي للوقوف على سمات الفكر التربوي عند علماء المسلمين.

٢- عقد المقارنات بين علماء التربية الإسلامية في جانب الآراء التربوية وتطبيقاتها في الواقع المعاصر.

٣- البحث عن الأفكار التربوية لعلماء المسلمين بما يتلاءم مع طبيعة العصر الحالي الذي أصبح من أبرز سماته التقدم في مجالات العلم والمعرفة.

٤- مازال الفكر التربوي الإسلامي مجالاً خصباً للباحثين للتنقيب في كنوزه الهائلة التي لم يتم اكتشافها.

٥- ضرورة البحث واستخراج الكنوز الثمينة للآراء والتطبيقات التربوية لأعلام الفكر التربوي الإسلامي عبر العصور المختلفة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الأسمري، عبدالله حلفان العايش، "نظريات التعلم في ضوء التربية الإسلامية"، جامعة أم القرى، الموقع الالكتروني https://uqu.edu.sa/page/ar/28155 .

٢. الأنصاري، الطاهر بن الصادق، "الحافظ ابن عبد البر النمري (محدثًا)"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، ١٣٩٧هـ.

٣. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، "الجامع المسند الصَّحيح المختصر من أمور رسول الله – صلَّى الله عليْه وسلَّم – وسُنَنه وأيَّامه"، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٤. البخاري، محمد بن إسماعيل، "التاريخ الصغير"، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ت).

٥. بغدادي، فيصل عبد القادر عبد الوهاب، "نظريات في التعلم في ضوء التربية الإسلامية"، موقع جامعة أم القرى.

٦. الجريبة، ليلى، "كيف تربي ولدك "، http://www.goodreads.com/book/show/٦٤٦٠٥٥٥

٧. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، "طوق الحمامة في الألفة والآلاف"، تحقيق صلاح الدين القاسمي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٥م.

٨. الحسن، محمد إحسان، "مناهج البحث الاجتماعي"، ط ١، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥م.

٩. الحمداني، موفق وآخرون، "مناهج البحث العلمي"– الكتاب الأول– أساسيات البحث العلمي، ط ١، جامعة عمان للدراسات العليا، عمان، ٢٠٠٦م.

١٠. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، "سير أعلام النبلاء"، تحقيق شعيب أرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١١. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، "تذكرة الحفاظ"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

١٢. الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر الحنفي، "مختار الصحاح"، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

١٣. الربيع، علي سليمان، "ابن عبد البر وآراؤه التربوية"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٤٠٧هـ.

١٤. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، "طبقات الشافعية الكبرى"، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، دار هجر، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٥. السيوطي: جلال الدين السيوطي – "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة" . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – القاهرة . ط١، ١٣٨٧ هـ .

١٦. الطناحي، محمود محمد، "الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم"، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٦هـ=١٩٨٥م.

١٧. عباس، محمد خليل، واخرون، "مدخل إلى مناهج البحث في التربية وعلم النفس"، ط ١ دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٧ م.

١٨. عبيدات، ذوقان وآخرون، "البحث العلمي، مفهومه وأدواته وأساليبه"، ط١، دار مجدلاوي للنشر، عمان،١٩٩٩م.

١٩. عبيدات، محمد وآخرون، "منهجية البحث العلمي"، ط٢، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان،١٩٩٩م.

٢٠. العساف، صالح حمد ، "المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية"، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢١هـ.

٢١. عسيري، حسن بن معمس بن يحيى، الفكر التربوي عند ابن عبد البر القرطبي وابن جماعة رحمهما الله، رسالة

٢٢. الفيومي، أحمد محمد علي، "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير"، المكتبة العلمية، بيروت.

٢٣. القاسمي، محمد جمال الدين محمد سعيد، "الجرح والتعديل"، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.

٢٤. القرطبي: أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري، "جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله"، تقديم عبد الكريم الخطيب، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٢هـ .

٢٥. القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري، "رسالة في الأخلاق"، مطابع الجزيرة، الرياض، ١٣٩٧هـ.

٢٦. القشيري، مسلم بن الحجاج النيسابوري، " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٧. المحيميد، عبد العزيز بن عبد الرحمن، "أخلاقيات مهنة التعليم في الفكر الإسلامي"، الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية –جستن -كلية التربية –جامعة الملك سعود –الرياض.

٢٨. المزي، جمال الدين يوسف، "تهذيب الكمال في أسماء الرجال"، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

٢٩. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، "لسان العرب"، دار صادر، بيروت، ١٤١٠هـ.

٣٠. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الموقع الإلكتروني quran-m.com

٣١. النمري، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، "الكافي في فقه أهل المدينة"، تحقيق: محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

٣٢. اليحصبي، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى، "ترتيب المدارك وتقريب المسالك"، تحقيق: ابن تاويت الطنجي وآخرون، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط١، ١٣٨٧هـ.